



ملف وحوش الشعر

صيف ٢٠١٣

محتويات الملف

- ١ محتويات الملف
- ٢ عينية ابن زريق
- ٥ لامية السموأل
- ٩ حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْم؟
- ١٣ جَفَا وَدُّهُ

للاستماع



عينية ابن زريق

توطئة:

ترجع هذه القصيدة للشاعر ابن زريق، وهو أبو الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي، نشأ في بغداد ثم رحل إلى الأندلس ومات بها، ويقال إنه خلف في بغداد حبيبة له، وذهب لمدح أحد الأمراء طمعاً في المال، ولكن خاب مسعاه في ذلك الأمر، ولم يصب الشيء الذي أراده من مدح الرجل، فمات كمدا ووجدوا معه هذه القصيدة. تعد عينية ابن زريق من عيون الشعر، قال عنها ابن حزم الأندلسي: "من تحتّم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو وتفقه للشافعي وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف".

ولا يعرف لابن زريق غير عينيته هذه، التي حظيت باهتمام كبير من الشعراء والأدباء على مر العصور، فعارضها أبو بكر العيدي (ت ٥٨٠هـ) بقصيدة من ٤٩ بيتاً مطلعها:

لي بالحجاز غرامٌ لست أدفعه *** ينقاد قلبي له طوعاً ويتبعه

وعارضها أبو العباس أحمد بن جعفر بن أحمد الديلمي (ت ٦٢١هـ) بقصيدة من ٣١ بيتاً مطلعها:

يروم صبراً وفرطُ الوجدِ يمنعه *** سلوه، ودواعي الشوق تردعه

(بجر البسيط)

قال ابن زريق رحمه الله:

- | | |
|--|--|
| ١ لا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُوْلِعُهُ | قَدْ قُلْتَ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ |
| ٢ جَاوَزْتَ فِي لَوْمِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ | مِنْ حَيْثُ قَدَرْتَ أَنَّ اللَّوْمَ يَنْفَعُهُ |
| ٣ فَاسْتَعْمِلِي الرَّفْقَ فِي تَأْنِيهِ بَدَلًا | مِنْ عُنْفِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ |
| ٤ قَدْ كَانَ مُضْطَلِعًا بِالْبَيْنِ يَحْمِلُهُ | فَضْلَعَتْ ^٢ لِحُطُوبِ الْبَيْنِ أَضْلَعُهُ |

^١ مُضْنَى القلب: أي مريض القلب، والضني هو الشخص المريض.

^٢ مُضْطَلِعًا بالبين: من كان مُضْطَلِعًا بالشيء فهو قوي على حمله. البين: أي الفراق، ويأتي -أحياناً- بمعنى الضد وهو الوصل.

^٣ ضَلَعَتْ: أي اعوجّت.

مِنَ النَّوَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرَوِّعُهُ
رَأَيْ إِلَى سَفَرٍ بِالْعَزْمِ يُجْمِعُهُ
مُوَكَّلٌ بِفَضَاءِ الْأَرْضِ يَذَرُّعُهُ
وَلَوْ إِلَى السَّنَدِ أَصْحَى وَهُوَ يُزْمِعُهُ^٣
لِلرِّزْقِ كَدًّا وَكَمْ مِمَّنْ يُودَّعُهُ
رِزْقًا وَلَا دَعَا الْإِنْسَانَ تَقْطَعُهُ
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ
مُسْتَرْزَقًا وَسِوَى الْغَايَاتِ تُقْنِعُهُ
بَغْيٍ^٤ أَلَا إِنَّ بَغْيَ الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
إِزْبًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُظْمِعُهُ
بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْزَارِ مَظْلَعُهُ
صَفُو الْحَيَاةِ وَأَنْتِي لَا أُودَّعُهُ
وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشَفِّعُهُ
وَأَذْمُعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَذْمُعُهُ
عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أُرْقِعُهُ
بِالْبَيْنِ عَنِّي وَقَلْبِي لَا يُوسِّعُهُ
وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يُخْلَعُهُ
شُكْرٍ عَلَيْهِ فَعَنَّهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ
كَأْسًا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أَجْرَعُهُ
الدَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَذْفَعُهُ

٥ يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّفْنِيدِ^١ أَنْ لَهُ
٦ مَا أَبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجُهُ
٧ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ حِلٍّ وَمُزْتَحَلٍ
٨ إِذَا الزَّمَانُ أَرَاهُ فِي الرَّحِيلِ غَنَى
٩ تَأْبَى الْمَطَامِعُ إِلَّا أَنْ تُجَشِّمَهُ^٤
١٠ وَمَا مُجَاهَدَةُ الْإِنْسَانِ وَاصِلَةٌ
١١ وَاللَّهُ قَسَمَ بَيْنَ الْخَلْقِ رِزْقَهُمْ
١٢ لَكِنَّهُمْ مَلِئُوا حِرْصًا فَلَسْتَ تَرَى
١٣ وَالْحِرْصُ فِي الرِّزْقِ وَالْأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ
١٤ وَاللَّهِ يُعْطِي الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَمْنَعُهُ
١٥ أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَعْدَادٍ لِي قَمَرًا
١٦ وَدَعْتُهُ وَبُودِي لَوْ يُودَّعُنِي
١٧ وَكَمْ تَشَقَّعَ بِي أَلَا أَفَارِقُهُ
١٨ وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحَى
١٩ لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ثَوْبُ الْعُدْرِ مُنْخَرِقُ
٢٠ إِنِّي أَوْسَعُ عُذْرِي فِي جِنَايَتِهِ
٢١ أُعْطِيتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ
٢٢ وَمَنْ عَدَا لِابِسًا ثَوْبَ النَّعِيمِ بِلَا
٢٣ إِعْتَصْتُ مِنْ وَجْهِ خَلِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
٢٤ كَمْ قَائِلٍ لِي ذُقْتَ الْبَيْنَ قُلْتُ لَهُ

^١ التَّفْنِيدُ: التَّخْطِئَةُ وَتَسْفِيهِه الرَّأْيَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾.

^٢ النَّوَى: أَيِ الْبُعْدِ.

^٣ إِذَا كَانَ الشَّخْصُ يُزْمَعُ عَلَى فِعْلٍ فَهُوَ يَعْزِمُ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ.

^٤ تُجَشِّمُهُ: أَيِ تَكْلَفُهُ.

^٥ الْبَغْيُ: هُوَ تَجَاوُزُ الْحُدُودِ فِي الشَّيْءِ كَالطَّمَعِ.

- ٢٥ أَلَا أَقَمْتُ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُهُ
 ٢٦ إِنِّي لَأَقْطَعُ أَيَّامِي وَأُنْفِذُهَا^١
 ٢٧ بِمَنْ إِذَا هَجَعَ النُّوَامُ أُبْتُ لَهُ
 ٢٨ لَا يَظْمِئُنْ لِحَنِّي مَضْجَعٌ وَكَذَا
 ٢٩ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ رَيْبَ الدَّهْرِ يَفْجَعُنِي
 ٣٠ حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدِ
 ٣١ بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْقَصْرِ الَّذِي دَرَسْتُ^٣
 ٣٢ هَلْ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فِيكَ لَدَتْنَا
 ٣٣ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَصْبَحَتْ مَنْزِلُهُ
 ٣٤ مَنْ عِنْدَهُ لِي عَهْدٌ لَا يُضَيِّعُهُ
 ٣٥ وَمَنْ يُصَدِّعْ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا
 ٣٦ لَأُضْبِرَنَّ لِدهْرِ لَا يُمَتِّعُنِي
 ٣٧ عِلْمًا بِأَنَّ إِصْطِبَارِي مُعَقَّبٌ فَرَجًا
 ٣٨ عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنْتُ بِفُرْقَتِنَا
 ٣٩ وَإِنْ يَنْلُ أَحَدٌ مِنَّا مَنِيَّتَهُ
- لَوْ أَتَيْتُ يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ أَتْبَعُهُ
 بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقْطِعُهُ
 بِلَوَعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ
 لَا يَظْمِئُنْ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ
 بِهِ وَلَا أَنَّ بِي الْأَيَّامَ تَفْجَعُهُ
 عَسْرَاءُ^٢ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ
 آثَارُهُ وَعَقْتُ^٣ مُذْ بِنْتُ أَرْبَعُهُ^٤
 أَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَتْ تُرْجَعُهُ
 وَجَادَ غَيْثٌ عَلَى مَغْنَاكَ يُمْرِعُهُ^٥
 كَمَا لَهُ عَهْدٌ صِدْقٍ لَا أُضَيِّعُهُ
 جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ
 بِهِ وَلَا بِي فِي حَالٍ يُمَتِّعُهُ
 فَأُضِيقُ الْأَمْرَ إِنْ فَكَّرْتُ أَوْسَعُهُ
 جِسْمِي تُجَمِّعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ
 فَمَا الَّذِي فِي قَضَاءِ اللَّهِ يَصْنَعُهُ

^١ أنفذها: أي أجريها.^٢ عسراء: أي صعبة.^٣ درست: أي ذهبت. عقت: أي انمحت. أربعة: الربع هو الحي أو الدار وما حوله من المنازل.^٤ يُمرعه: أي يُخْصِبه. والمغنى: هو المنزل الذي غني به أهله.^٥ أضنت: بمعنى أضعت.

للاستماع



لامية السمؤال

توطئة:

ترجع هذه القصيدة للشاعر السمؤال، وهو السمؤال بن غريص بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي. شاعر جاهلي يهودي عربي، ذو بيان وبلاغة، كان مشهوراً بالوفاء وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق، كانت العرب تنزل فيه فيضيفها، وبالسمؤال يضرب المثل في الوفاء. فيقال أوفى من السمؤال، لأنه فضل قتل ابنه على التفریط في أمانة أودعها عنده امرؤ القيس لما سار إلى الشام يريد قيصر، عاش في نهاية القرن الخامس وفي النصف الأول من القرن السادس الميلادي. من سكان خيبر، كان يتنقل بينها وبين الأبلق في تيماء. يقال أنه توفي في العام ٥٦٠م. جعله ابن سلام أول طبقة شعراء يهود؛ وهم ثمانية فيهم أخوه سَعْيَة وكان الأبلق قد بناه جده عادياء. وثمة اختلافات تاريخية عديدة حول نسبه وصحة نسبة بعض القصائد إليه. وأشهر ما ينسب إليه من القصائد "إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه". وهي من القصائد التي قل نظيرها في الفخر والحماة.

ولهذه القصيدة "تَحْمِيس" لصفي الدين الحلي، والتخميس: أن تُضاف ثلاثة أشر على كل بيت من القصيدة الأصلية على أن تنتهي هذه الأشر المضافة بنفس قافية الشطر الأول من القصيدة الأصلية، فيُصبح كل بيت من القصيدة مكُون من خمسة أشر: الأربعة الأولى منها على نفس القافية وتتغير من بيت لبيت، والشطر الأخير له قافية ثابتة وهي قافية القصيدة، ومطلع مُحَمَّسة صفي الدين الحلي:

قَبِيحٌ بَمَنْ ضَاقَتْ عَنِ الْأَرْضِ أَرْضُهُ *** وَطُولُ الْفَلَا رَحْبٌ لَدَيْهِ وَعَرْضُهُ
وَلَمْ يُبَلِّ سِرْبَالَ الدُّجَى فِيهِ رَكَضُهُ *** إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ
فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْجُبْ عَنِ الْعَيْنِ نَوْمَهَا *** وَيُغْلِي مِنَ النَّفْسِ النَّفِيسَةَ سَوْمَهَا
أُضِيعَ وَلَمْ تَأْمَنْ مَعَالِيهِ لَوْمَهَا *** وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

قال السمؤال بن عادياء:

(بحر الطويل)

- ١ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضُهُ
 ٢ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا
 ٣ وَقَائِلَةٍ مَا بَالُ أُسْرَةٍ عَادِيَا
 ٤ تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
 ٥ وَمَا ضَرَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
 ٦ وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
 ٧ لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ
 ٨ رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
 ٩ هُوَ الْأَبْلَقُ الْقَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ
 ١٠ وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
- فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
 فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ
 تَنَازَى وَفِيهَا قِلَّةٌ وَخُمُولٌ
 فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
 عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
 شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولٌ
 مُنِيفٌ يَرُدُّ الظَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ
 إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلٌ
 يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
 إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

١ إذا لم يتدنس الرجل باكتساب اللؤم واعتياده فأى ملبس لبسه بعد ذلك كان حسنا جميلا.

٢ وإن هو لم يكف نفسه عن ظلمها، ولم يصبرها على مكارهاها فليس له طريق إلى الثناء الحسن.

٣ وتقول له امرأة: ما بال أسرة عادياء تطمح إلى اكتساب المعالي وهي ليست أهلا لها لقلتها ووضاعة منزلتها.

٤ يرد الشاعر على من يعيب قومه بقلة عددهم فيقول أن الكرام قليل وهذا اعتراف من الشاعر بقلة عددهم لا بقلة قدرهم وقدرتهم كما سيرد في الأبيات.

٥ في هذا الكلام يعرض الشاعر بعشيرة من يعيره. فيقول أنه لا يضرنا أن عددنا قليل إذا كان الحال الحاصل أن جارنا عزيز رغم قلتنا وجار غيرنا ذليل رغم كثرتهم. و"ما" يحتمل أنها نافية فيصير المعنى "ولم يضرنا أنا قليل" أو أنها استفهامية فيصير "وما الذي تضرنا به قلة عددنا؟"

٦ وما لحقت قلة القدر والمكانة أسلافا كان خلفهم مثلنا فنحن شباب وكهول يتسامون في اكتساب المعالي

٧ مُنِيف: أي عال على ما سواه. الظرف: النظر والعين. المعنى الإجمالي: لنا جبلٌ عزٌّ يدخله من نُدخله في جوارنا، ممتنع على طالبيه، يردُّ لإشرافه وعلوه وصعوبة غزوه طَرَفَ النَّظَرِ إليه رغبة في غزوه واختراقه وهو حسير.

٨ رسا أصل الجبل: ثبت أصله وكان راسخا وهذا كناية عن عز قومه فكأنه يقول عزنا أصله تحت الأرض السابعة وفرعه عند النجم ولا يوصل إليه ولا يُحْصَل مثله

٩ الأبلق اسم الجبل. رامه: يبتغي غزوه

١٠ فضل الشاعر عشيرته في الصبر على الموت، والثبات في الحرب على عامر وسلول فيقول: إذا حسب هؤلاء القتل والقتال عارا ومنقصة عدتهما عشيرتي فخرا ومكرمة.

- ١١ يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^١
 ١٢ تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ تَسِيلُ^٢
 ١٣ وَمَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا ظَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ^٣
 ١٤ صَفُونَا فَلَمْ نَكْذُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنْكَ أَصَابَتْ حَمَلَنَا وَفُحُولُ^٤
 ١٥ فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا كِهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ^٥
 ١٦ عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَظَّنَا لَوْقَتِ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولُ^٦
 ١٧ وَآيَامُنَا مَشْهُودَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ^٧
 ١٨ وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ^٨
 ١٩ مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغَمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَتِيلُ^٩
 ٢٠ سَلِي إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ وَلَيْسَ سَوَاءٌ عَالِمٌ وَجَهُولُ^{١٠}
 ٢١ وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ^{١١}

^١ يقرب حب الموت آجالنا: أي حبنا للموت يقرب أجلنا أو يحتمل أن معناها حب الموت لنا يقرب آجالنا. المعنى الأول مثل قول الشاعر: "رأيت الكريم الحر ليس له عمر" والثاني مثل "أرى الموت يختار الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد".

^٢ الطبّات: جمع طبة وهي طرف حد السيف. ونفوسنا: أحد معانيها دماؤنا وهو المقصود في هذا البيت. والشاعر يفتخر بأن قومه لا يموتون إلا من السيوف لا من غيرها لأنها ميتة أشرف من غيرها من أسباب الموت ولا تسيل دماؤهم على شيء أحقر من السيوف كالعصي مثلاً. ^٣ يقول: لا نموت في فراشنا لأننا أصحاب حرب، ومنايا الكرام في القتل. يقال طلّ دمه وأهدير إذا ذهب باطلاً وهدرًا ولم يدرك بثأره من قاتله. ينفي الشاعر أن يطل دم أي من قتلاهم لعزهم وشجاعتهم.

^٤ سرنا: سر القوم هم أشراف القوم وخيرهم. وقيل معنى السر: النكاح. يشير الشاعر إلى صفاء أنسابهم وأنها لم تشبها لوثة وكُدورة. والتكدر كلمة تقال للماء إذا أصبح معكراً بسبب حركة الطين فيه.

^٥ المزن: السحاب الأبيض. الكهام: السيف غير القاطع. وماء المطر هو أصفى المياه عندهم فشبه الشاعر صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر ثم قال: "ما في نصابنا كهام" أي ليس فينا عاجز ضعيف كالسيف غير القاطع ولكننا كالسيوف القواطع.

^٦ أي أننا تولدنا من خير ظهور أكرم الآباء وحدّرنا منها لوقت معلوم نزول إلى خير البطون من أشرف الأمهات. والمعنى أنا كرام الأصل من جميع الأطراف.

^٧ وقَعَانَا مشهورة في أعدائنا معلومة، فهي بين الأيام كالخيل العُر المحجلة بين بقية الخيل. والغُر من الخيل ما كان في وجهه بياض والمجمل منها ما كانت أطراف قوائمه ببيضاء.

^٨ يوم الكريهة: يوم القتال. القراع والمقارعة: المجادلة بالسيوف. الفلول هي الكسور في السيوف من كثرة الضرب بها.

^٩ عَوَدَت سيوفنا ألا ترد في أعمادها إذا سللناها إلا بعد أن يستباح بها قبائل ويسفك بها دم.

^{١٠} يصف رياستهم وعلو كلامهم ونفاذ حكمهم، ورجوع الناس في المهمات إلى رأيهم، والاعتماد على تدبيرهم ومشورتهم.

- ٢٢ إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى قَامَ سَيِّدٌ قَوْلٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولٌ^١
 ٢٣ وَمَا أُخِمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَمَا دَمَمْنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلٌ^٢
 ٢٤ فَإِنَّ بَنِي الدِّيَانِ قُطِبٌ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ^٣

^١ يقول: لسنا كمن إذا مات سيدهم لم يكن فيهم من هو كفؤ ليخلفه ولكن يسود العقب بعد العقب. ومثله قول الشاعر: "إذا مات منا سيد قام بعده ... نظيرٌ له يُغني غَنَاءَهُ وَيُخْلِفُ".

^٢ يقول: لا تطفأ نارنا إذا ما أتاننا ضيف ليخفى عنه مكاننا. والطارق هو من أتى ليلاً، وبهذا سمي النجم طارقاً كما في قوله تعالى: (والسماء والطارق). النزيل هو الضيف

^٣ القطب: هو الحديدة في الطبقة الأسفل من الرحي يدور عليها الطبقة الأعلى. وعلى التشبيه قالوا: فلان قُطِبَ بني فلان، أي سيدهم الذي يلوذون به.

للاستماع



حَتَّامُ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ؟

توطئة :

هذه القصيدة لشاعرنا أبي الطيب المتنبي الغني عن التعريف، أنشدها قبل وفاته بسنتين عام ٣٥٢ للهجرة، يذكر فيها سيره من مصر ويرثي أبا شجاع فاتكًا الإخشيدي، تقع القصيدة في ٣٩ بيتًا اخترنا منها أول ٣٢ بيتًا.

قال أبو الطيب المتنبي:

(بجر البسيط)

- | | |
|--|--|
| ١ حَتَّامُ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ | وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ |
| ٢ وَلَا يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَا | فَقَدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمْ |
| ٣ تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِهَا | وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ |
| ٤ وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً | لَوْ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمٍ |
| ٥ وَنَثَرُكَ الْمَاءَ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ | مَا سَارَ فِي الْعَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ |
| ٦ لَا أَبْغِضُ الْعَيْسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا | قَلْبِي مِنَ الْحُزَنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ |
| ٧ طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا | حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشٍ وَالْعَلَمِ |

^١ إلى متى نسري مع النجوم في ظلم الليل وليست تسري على خف كالإبل ولا على قدم كالناس؛ فلا يصيبها الكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا.

^٢ كما أن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر في رجل بعيد على أهله بات يسري ساهراً، يعني نفسه.

^٣ وسيرهم ليس في الليل فقط بل حتى في النهار، ثم يقول مشتكيًا، إن الشمس تسود أوجها مع أننا نود أن تبقى بيضاء، وتبقى شعورنا بيضاء لا تسودها مع أننا نود أن تكون سوداء. والعذر: جمع عذار وهو جانب اللحية، واللّم: جمع لمة وهو شعر الرأس المجاوز لشحمة الأذن.

^٤ ولو أننا احتكنا إلى أحد حكام الدنيا في هذا لحكم بتغيير الشمس لبياض الشعر كما تغير بياض الوجه.

^٥ وحتى الماء لا ندعه ينفك من السفر، فإذا ارتاح بعد سيره في السحب أخذناه في القرب ليكمل سيره وسفره

^٦ وإتعاي للإبل ليس بسبب كرهها لها، ولكني أسافر عليها لأقي قلبي من الحزن أو جسمي من السقم.

^٧ حثت الإبل على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها تطارد أيديها لتلحق بها، حتى خرجنا من جوش والعلم - وهما موضعان - كما يمرق السهم من الرمية لسرعة سيرها.

- ٨ تَبْرِي لَهْنَ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً
 ٩ فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا
 ١٠ تَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عَمَائِمَهُمْ
 ١١ بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَّائُونَ مَنْ لَحِقُوا
 ١٢ قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَائِهِمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ
 ١٣ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنَّ أَنْفُسَهُمْ
 ١٤ نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ
 ١٥ تَخْذِي الرِّكَابِ بِنَا بِيضًا مَشَافِرُهَا
 ١٦ مَكْعُومَةً بِسَيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
 ١٧ وَأَيْنَ مَنِئْتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنِئِهِ
- تُعَارِضُ الْجُدْلَ الْمُرْخَاةَ بِاللُّجْمِ^١
 بِمَا لَقِينَ رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزَّلَمِ^٢
 عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُودًا بِلَا لُثْمِ^٣
 مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَّالُونَ لِلنَّعَمِ^٤
 وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ^٥
 مِنْ طَيِّبِهِنَّ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ^٦
 فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبَهْمِ^٧
 خُضْرًا فَرَّاسْنُهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَنَمِ^٨
 عَنْ مَنِئِ الْعُشْبِ نَبْغِي مَنِئِ^٩
 أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ^{١٠}

^١ شبه الخيل بسرعتها وطول سيقانها بنعام الدو، وهي النعام التي تجري في الأرض المستوية الخالية فلا يوقفها شيء، ثم قال أن الخيل التي هذا وصفها تباري إبلي في السير وتعارض بلجمها جُدْلَ إبلي، والجدل هو زمام الناقة الذي يكون في عنقها. وقلب التشبيه في هذا البيت تفننا ومبالغة، فهو لم يقل أن إبلي تشبه الخيل بسرعتها، ولكن قال: أن الخيل - التي وصفها بالسرعة وشبهها بالنعامة لفرط سرعتها وطول سيقانها - تشبه إبلي في سرعتها. فالإبل أصبحت هي مضرب المثل في السرعة.

^٢ سرت من مصر برفقة غلثة حملوا أرواحهم على الخطر، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة، كما يرضى المقامرون بما يخرج لهم بالأزلام.

^٣ إذا ألقوا عمائهم التي على رؤوسهم ظهر لنا من شعورهم عمام سود ليس لها لثم، واللثام ما يجعل من العمامة تحت الذقن، فهؤلاء الغلثة وافروا شعور الرؤوس وليس لهم شعور على وجوههم.

^٤ هؤلاء الغلثة مرد بيض صفائح الوجوه، ولكنهم شجعان قتالون للفوارس، طرادون للنَّعَم يغيرون عليها ليسرقوها أينما وجدوها.

^٥ قد استفرغوا ما يفوق وسع الرماح من الطعن، ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية همهم.

^٦ هم أبداً في القتال والغارات كأهل الجاهلية، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه فكأنهم في الأشهر الحرم أمناً وسكوناً.

^٧ تناولوا الرماح وكانت جماداً لا تنطق، فأسمعوا الناس صريها في طعان الشجعان، حتى صاحت فيهم صياح الطير.

^٨ تسير الإبل بنا مسرعة، قد ابْيَضَّت مشافرها (المشفر للناقة كالشفة للإنسان) وجفت لأنها لا ترعى، مع أن فراسنها (أسفل الخف) قد اخضرت من كثرة وطنها للرغل والينم، وهما نباتان حسان للرعي.

^٩ ثم يبين لماذا تطو الإبل هذا النبات الحسن ولا ترعاه، فيصفها بأنها مكعومة، والمكعومة هي الناقة التي ربط فمها فلا تستطيع الرعي والعض، وما شدّ فم ركابهم ليس الحبال ولكنه شدة ضرب السياط، وسبب ضربها هو إبعادها عن منبت العشب لأننا نقصد منبت الكرم، وهذه مشاكلة لفظية، فالكرم يقصد به العنب، والعنب يكثر في الشام، والشام إذا خرج من مصر إلى العراق، ويقصد به أيضاً الجود. فيقول أننا نسير باتجاه الشام نبحث عن أهل الكرم وأصل الجود.

^{١٠} ثم استدرك وتذكر أبا شجاع وبدأ في رثائه، فقال: وأين نجد أهل الكرم وقد مات أبو شجاع منبع الجود والكرم، وسيد العرب والعجم.

- ١٨ لَا فَاتِكَ آخِرٌ فِي مِصْرَ نَقْصِدُهُ
 ١٩ مَنْ لَا تُشَابِهُهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْمٍ
 ٢٠ عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ
 ٢١ مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرْتُ
 ٢٢ أُسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا
 ٢٣ حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي
 ٢٤ إِكْتُبْ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ
 ٢٥ أَسْمَعْتَنِي وَدَوَائِي مَا أَشْرَتْ بِهِ
 ٢٦ مَنْ إِفْتَضَى بِسَوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتُهُ
 ٢٧ تَوَهَّمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجَرَ قَرَّبَنَا
 ٢٨ وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً
 ٢٩ فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمْ
 ٣٠ مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفَرْتُهُ
 ٣١ صُنَّا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
- وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ^١
 أَمْسَى تُشَابِهُهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرِّمَمِ^٢
 فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ^٣
 إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمٍ^٤
 وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ^٥
 الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ^٦
 فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ^٧
 فَإِنْ غَفِلْتُ فِدَائِي قِلَّةُ الْقَهَمِ^٨
 أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمْ^٩
 وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التُّهَمِ^{١٠}
 بَيْنَ الرَّجَالِ وَلَوْ گَانُوا ذَوِي رَحِمٍ^{١١}
 أَيْدٍ نَشَأَنَّ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُدَمِ^{١٢}
 مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمٍ^{١٣}
 مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَزَمِ^{١٤}

^١ ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده لنقصده ولهذا تركناها، وليس له خلف يشابهه في الناس كلهم.

^٢ من لم يكن له شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه، صار الأموات يشابهونه في العظام البالية.

^٣ فقدته، وسرت أطلب أحداً مثله في الشيم والمكارم، فما ظفرت به في الدنيا إذ ليس له نظير.

^٤ ما زلت أسافر على إبلي وادي أخفافها إلى من لا يستحق القصد إليه، فتضحك الإبل استهزاءً وتعجباً إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه.

^٥ أسير إبلي بين قوم كأنهم أصنام يُعظمهم الناس ويقصدونهم، إلا أن الأصنام عفيفة أما هؤلاء فآذناس.

^٦ ما زلت أتوسل إليهم بالقلم والعلم، فلما لم أظفر بخير قالت لي الأقلام: اطلب الشرف بالسيف لا بالقلم.

^٧ وقالت: لا تكتب بنا إلا بعد الكتابة بسيفك وطلب مرادك به أولاً، فإنما نحن تبع له.

^٨ فرد على أقلامه: قد أسمعني ودوائي ما أمرتني به، فإن لم أفعل فدائي من قلة العلم والفضل.

^٩ من طلب حاجته بغير السيف سيجيب عن كل من يسأله: هل أدركت حاجتك؟ بـ: لم أدركها.

^{١٠} توهم من قصدناهم بالمدح أن ما قربنا إليهم هو العجز، وفي التقرب فعلاً ما يدعوا لهذه التهمة.

^{١١} ولكنهم لم ينصفوا، وترك الإنصاف يدعوا إلى التقاطع بين الأقارب، فكيف بمن هم دونهم؟

^{١٢} فلا أزورهم بعد ذلك إلا محارباً بأيديهم قد ألفت القتال ونشأت في صحبة السيوف القواطع.

^{١٣} من كل سيف تقضي شفرته بالموت بين الفريقين المحتكمين إليه، الظالم والمظلوم.

^{١٤} صننا قوائم السيوف عن أن يسلبوها منا، فما وقعت إلا في أيدينا التي لا لؤم فيها ولا قصر، بعكس أيديهم.

٣٢ هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ^١

^١ هون على العين ما شق عليها النظر إليه من المكارة، وهبك تراه في الحلم؛ لأن ما تراه في اليقظة شبيه بما تراه في المنام، فكلاهما يمكنان قليلاً ثم يزولان كأن لم يكونا.

للاستماع



جَفَاوُدُهُ

توطئة:

ترجع هذه القصيدة للشاعر بشار بن برد، وهو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي، فارسي الأصل، عربي المولد والمنشأ، سبي جده يرجوخ من بلاد فارس على يد المهلب بن أبي صفرة، وظل جده وأبوه عبيدًا في البصرة، ثم تزوج أبوه من أمة رومية وأنجب منها بشيرًا وبشارًا. ولد بشار عام ٩٦ للهجرة عند بني عقيل في بادية البصرة، وكان بشار أعمى البصر، مجدور الوجه، قبيح المنظر، مفرط الطول، ضخم الجثة، سليط اللسان، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة، لا يألف ولا يؤلف.

يعد بشار أول من لا يحتج بشعره في اللغة، أو آخر من يحتج به، فهو شاعر مخضرم شهد الدولتين الأموية والعباسية، كما يعد بشار إمام الشعراء المحدثين وسيدهم بلا منازع، وأول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين، وفتق في شعره عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة، وكان على الرغم من عماه - أو ربما بسببه - بليغ الوصف، حسن التصوير، واسع الخيال، ولا يكاد يذكر الوصف إلا ويذكر بيته البديع في وصف ساحة الحرب:

كَأَنَّ مُثَارَ التَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ ** وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

وله من الأبيات السيارة أيضًا:

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ ** وَالْأَذُنُ تَعَشُّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
قَالُوا بِمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: ** الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تُؤْتِي الْقَلْبَ مَا كَانَا

ومنها أيضًا:

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ ** إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَعَيْرُكَ يَهْدِمُ

ومن شعره الجميل أيضًا في مدحه لجود أحد الأمراء:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى ** وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
فَرُحْتُ وَقَدْ أَشْبَهْتُ فِي الْجُودِ حَاتِمًا ** فَضَيَّعْتُ مَا أَعْطَى وَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ دَوْرُ الْغِنَى ** أَفَدْتُ، وَأَعْدَانِي فَاتَّلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقد اشتهر شعر بشار أيضًا بالمجون، والغزل والهجاء الفاحشين، وقال في شعره ما لم يجزؤ عليه أحد من قبله، ومما ساعده على ذلك أن أمه كانت تأخذه معها في صباه لمجالس النساء بحجة أنه أعمى، فكان يسمع من خاصة حديثهن ما لا يسمعه الرجال عادة، وساعده أيضًا خفة الدين في عصره وانتشار الفساد والمهليات ووفرة الجواري والسبايا نظرًا لكثرة الفتوحات، وكان بشار نفسه أيضًا فاسقًا زنديقًا ماجنًا، فكل هذه العوامل أدت إلى امتلاء شعره بالمجون والفحش.

قتل بشار عام ١٦٧ للهجرة بأمر من الخليفة المهدي بتهمة الزندقة. وقيل لو كان سبب قتله الزندقة لقتل منذ زمن طويل وما كان ليعيش ٧٠ عامًا فقد عاش أغلب عمره زنديقًا مجاهرًا بزندقته، ولكن يقال أن الخليفة المهدي أمر بقتله لأنه هجاه بقوله:

بَنِي أُمِيَّة هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ ** إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ

صَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا ** خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الزِّقِّ وَالْعُودِ

فحرض بشارني أمية على الخليفة المهدي، واتهمه بأنه مشغول بالخمير وسماع اللهو والأغاني وأن من يدير الدولة حقيقة هو كاتب الخليفة يعقوب بن داوود، فأمر الخليفة المهدي حراسة بأن يجلدوه عند سماعه لهذه الأبيات، فمات بسبب ذلك.

تعد هذه القصيدة أحد أجمل قصائد بشار بن برد، قالها في مديح آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، ومن أبياتها التي طارت بها الركبان وصفه للصدیق:

أَخَوَكَ الَّذِي إِنَّ رَبَّهُ قَالَ إِنَّمَا *** أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِبًا *** صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ *** مُقَارِفَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى *** ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

ويزيد عليها بعضهم:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا؟ *** كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

ومن أبيات القصيدة الشهيرة أيضًا، الأبيات التي امتدح فيها مروان بن محمد وذكر فيها عظمة جيشه، ومن هذه الأبيات:

وَسَامٍ لِمَرْوَانَ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا *** وَهَوْلُ كُلِّجِ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ

أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا *** بِأَسْيَافِنَا إِنَّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهُ

إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ *** مَشِينَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِيهِ
 عَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خَدْرِ أُمِّهَا *** تُطَالِعُنَا وَالظُّلُّ لَمْ يَجِرْ ذَائِبُهُ
 كَأَنَّ مُثَارَ التَّقَعِّ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ *** وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ إِنَّا *** بَنُو الْمُلْكِ خَقَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ
 تقع القصيدة في أكثر من ٨٠ بيتًا، اخترنا منها أول ٢٠ بيت.

قال بشار بن برد: (بحر الطويل)

١ جَفَا وَدُّهُ فَازُورَ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ
 ٢ خَلِيلِي لَا تَسْتَنْكِرَا لَوَعَةَ الْهَوَى
 ٣ شَفَى النَّفْسَ مَا يَلْقَى بِعَبْدَةٍ عَيْنُهُ
 ٤ فَأَقْصَرَ عِرْزَاؤُ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
 ٥ إِذَا كَانَ ذَوَاقًا أَخُوكَ مِنَ الْهَوَى
 ٦ فَخَلَّ لَهُ وَجْهَ الْفِرَاقِ وَلَا تَكُنْ
 ٧ أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رَبَّتْهُ قَالَ إِنَّمَا
 وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَاتِبُهُ^١
 وَلَا سَلْوَةَ الْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهُ^٢
 وَمَا كَانَ يَلْقَى قَلْبُهُ وَطَبَائِبُهُ^٣
 يَمِيلُ بِهِ مَسُّ الْهَوَى فَيُطَالِبُهُ^٤
 مُوجَّهَةً فِي كُلِّ أَوْبٍ رَكَائِبُهُ^٥
 مَطِيَّةً رَحَالٍ كَثِيرٍ مَذَاهِبُهُ^٦
 أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبْتُهُ لَانَ جَانِبُهُ^٧

^١ تغيّرت حال صاحبه من المودة والصلة إلى الجفاء، فبدأ بالابتعاد والملافة منه، وزاد الأمر سوءاً عليه مواصلة صاحبه لمعاتبته.

^٢ يا صاحبي لا تستنكرا ما يقاسيه المحب من لوعة الهوى، ولا تستنكرا ذهاب الحزن عن الذي ابتعد عن أحبابه.

^٣ فقد أذهب الحزن عنه ما تلقاه عينه من رؤيته لمحبيته "عبدة"، وما كان يلقاه قلبه منها، وشفى النفس أيضاً حبائبه اللاتي يواسينه وإن كن هن سبب الداء، كما قال ذو الرمة في محبته:

هي البرء والأسقام والهَمَّ والمُنَى .. وموت الهوى في القلب مني المبرح

^٤ فكفَّ قلبه الشديد عن طلب محبته وسلى عنها، ولكن مس الهوى لا زال يميل به ويثير الحنين فيحثه على معاودة مطالبتها. فهو مضطرب بين الحالتين.

^٥ ثم وجه لك نصيحة لكي لا تقع فيما يقاسيه، فقال لك: إذا كان صاحبك يكثر من التنقل في الهوى وتذوقه، كلما رأى مسلماً جديداً وجهه ركايبه إليه.

^٦ ففارقته ولا تتعب نفسك معه، ولا تكن مطيئة لشخص كثير التنقل، يهجر بك بسبب تملله وكثرة تنقله، وهذا كقول أبي فراس: إذا الخُلُّ لم يهجر بك إلا ملالة .. فليس له إلا الفراق عتاب

^٧ ثم يهجر بك عن من يستحق أن تتخذه صديقاً، وهو من إذا صنعت معه ما يريب، جعل الذنب لنفسه وظن أنه هو المخطئ، وإن عاتبته على إساءة لان لك.

- ٨ إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِبًا
 ٩ فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صَلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
 ١٠ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى
 ١١ وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ تَنَامُ بَنَاتُهُ
 ١٢ حَمَيْتُ بِهِ عَيْنِي وَعَيْنَ مَطِيَّتِي
 ١٣ وَمَاءٍ تَرَى رِيَشَ الْغَطَاطِ بَجَوِّهِ
 ١٤ قَرِيبٍ مِنَ التَّغْرِيرِ نَاءٍ عَنِ الْقَرَى
 ١٥ حَلِيفُ السُّرَى لَا يَلْتَوِي بِمَفَازَةٍ
 ١٦ أَمَقُّ غُرَيْرِيٍّ كَأَنَّ قُتُودَهُ
 ١٧ غَيُورٌ عَلَى أَصْحَابِهِ لَا يَرُومُهُ
- صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ^١
 مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ^٢
 ظَمِئَتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ^٣
 وَأَبْنَاؤُهُ مِنْ هَوْلِهِ وَرَبَائِبُهُ^٤
 لَذِيذَ الْكَرَى حَتَّى تَجَلَّتْ عَصَائِبُهُ
 خَفِيَ الْحَيَا مَا إِنَّ تَلِينَ^٥ نَضَائِبُهُ
 سَقَانِي بِهِ مُسْتَعْمِلُ اللَّيْلِ دَائِبُهُ^٦
 نَسَاهُ وَلَا تَعْتَلُ مِنْهَا حَوَالِبُهُ^٧
 عَلَى مُثَلَّثٍ يَدْمَى مِنَ الْحُثْبِ
 خَلِيطٌ وَلَا يَرْجُو سِوَاهُ صَوَاحِبُهُ^٨

^١ ومع أن الصديق الحقيقي هو الذي يلين لمعاتبتك إياه، ولكن لا تعاتب صديقك على كل شيء، فإنك إن فعلت ذلك لن تجد أحدًا لا تعاتبه.

^٢ فعلبك إن أردت صديقًا أن تتقبل زلاته، وأن تعلم بأنه سيقع في الذنب مرة وسيجتنب الوقوع فيه أخرى.

^٣ وضرب لك مثالاً للتأكيد على هذا، بأنك إذا أعرضت عن الماء لوجود أقل أذى فيه من قشّة أو نحوها فستضماً وستضطّر للشرب من الماء وإن لم يكن صافيًا، وكذا الحال مع الأصحاب.

^٤ بعد هذه المقدمة، انتقل إلى وصف رحلته، فيقول: ورُبَّ ليلٍ شديد الظلمة، ينام من طوله ومن شدة ظلمته بناته وأبناءه وأصحابه الذين اعتادوا السهر فيه.

^٥ منعت عيني وعين مطيقي من لذيذ النوم في هذا الليل الشديد السواد حتى تجلّت ظلماته وطلع الصباح.

^٦ خرجت في هذا الليل قاصدًا ورود ماءٍ لا تستدل عليه إلا من الغطاء المحلقة في جوه، والغطاط جمع غطاطة وهي القطاة، وهو طائر يحوم فوق مواضع الماء فيهتدي الناس إلى الماء برؤيته، كما أن الحيا وهو الخصب الذي حول الماء خفي فلا يوجد حول الماء ما يدل عليه، ونصائب هذا الماء وهي الحجارة المنصوبة حوله لم تلب بعد فهي لا تزال قاسية لقلّة من يصل إليها.

^٧ هذا الماء قريب من الأماكن المهلكة، بعيد عن القرى التي يسكنها الناس، ذهبت إليه للسقاية على ظهر جمل اعتاد سير الليل حتى كأنه أصبح يستعمل الليل في سيره.

^٨ هذا الجمل من كثرة مشيه في الليل أصبح كالخليف للسير فيه، واعتاد كثرة المشي فلا يلتوي نساءه ولا تتعب حوالبه عند قطعه للصحاري الطويلة المهلكة. والنسا والحالب هما العرقان المعروفان.

^٩ هذا الجمل طويل القامة، وهو فحل كفحل من الإبل مشهور يدعى غُرَيْر، وكأن الأخشاب التي وضعت عليه موضوعة على حمار وحشي لا على جمل، ثم أسهب في وصف هذا الحمار الوحشي، واستمر في ذكر قصته الدرامية إلى البيت ٣٩ الذي يقول فيه:
وَوَافَقَ أَحْجَارًا رَدَعْنَ نَضِيَّهُ * فَأَصْبَحَ مِنْهَا عَامِرَةً وَشَاخِبُهُ

المهم، في هذا البيت يصف الحمار بأنه مُثَلَّث: أي معه أتانان وهو ثالهما، وينزف الدم من حاجبه لكثرة مناطحته للحمير الأخرى.

^{١٠} ثم بين لك سبب مناطحته للحمير الأخرى، فهذا الحمار "غيور على أصحابه" أي: من أصحابه، والحمير الوحشية تُعرف بشدة الغيرة على إناثها، فهذا الحمار لشدة غيوره لا يدع أحدًا من أصحابه يقترب من إناثه، وصواحه الإناث لا يرجون أحدًا سواه.

- ١٨ إِذَا مَا رَعَى سَتَيْنَ حَاوَلَ مِسْحَلًا يَجِدُ بِهِ تَعْدَامُهُ وَيُلَاعِبُهُ^١
 ١٩ أَقْبَبَ نَفَى أَبْنَاءَهُ عَنْ بَنَاتِهِ بِذِي الرِّضْمِ حَتَّى مَا تُحَسُّ ثَوَالِبُهُ^٢
 ٢٠ رَعَى وَرَعَيْنَ الرِّطْبَ تَسْعِينَ لَيْلَةً عَلَى أَبَقِ وَالرَّوْضِ تَجْرِي مَذَانِبُهُ^٣

^١ المسحل: الحمار الوحشي، والتعدام: العض. معنى البيت: وهذا الحمار بعد أن يرمى رعيًا حسنًا حتى الشبع، يذهب ليُخالط الحمير الأخرى، فهو تارة يعضها بشدةٍ مشاجرةً، أو يعضها برقةٍ ملاعبةً.

^٢ هذا الحمار ضامر البطن، وعندما كبر أبناءه وبناته اتخذ البنات أزواجًا له ونفى الأبناء غيرَةً على البنات، ثم اعتذر الشاعر للحمار على نفيه لأبناءه وقال: أنه إنما فعل ذلك لئلا يشعر بالخزي إذا علم أبناءه بأنه اتخذ بناته حلائل له، وإن كانت هذه مثلبة في حق البشر لا الحمير. وذي الرضم: موضع، والرضم: الحجارة.

^٣ رعى هذا الحمار والإناث معه العشب الرطب تسعين ليلة وهي مدة الربيع، فجلس الحمار وصواحبه في عافية وسعادة في روضه تجري فيها الأنهار يرعون العشب الرطب والأبق وهو نبات تفضله الحمير.

ثم بعد ذلك ذكر الشاعر حلول الصيف وتغيّر الحال عليهم، وخروج الحمار في رحلة خطيرة لإحضار الماء لإنائه، واختتم المشهد بنهاية حزينّة مفاجئة يموت فيها الحمار على يد صياد خرج يصطاد لزوجته وابنتيه.

والمراد، أن صاحبنا الشاعر امتدح مطيته بتشبيهها بهذا الحمار وما به من الصفات، ليصل إلى أنه استعمل الجمل الذي هذا وصفه ليلقي بني غيلان، ثم امتدحهم ومدح الخليفة مروان بن محمد.



جميع الحقوق محفوظة

صفر ١٤٤٤هـ